إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد الثامن – شتاء ١٣٩١ش/ كانون الأول ٢٠١٢م
صص ٧٧ ـ ٩٩

# الأسلوب والأسلوبية وعناصر الأسلوب الأدبي من منظور القرآن الكريم

علی حاجی خانی*

**الملخص**

يشمل الأسلوب فی نظر القدماء والمعاصرين الناحيتين المعنوية واللفظية، كما أن هناک أنواعا مختلفة من الأسلوب عالجها القدماء والمحدثون سواء فی ذلک الغربيون والمسلمون. بالإضافة إلى ذلک فإن مفاهيم الأسلوب ومعانيه مختلفة فی المنظور الغربی والإسلامی. فهناک العديد من التعاريف قدورد فی الكتب المرتبطة بالموضوع، ولا يخفي أن للإسلوب عناصر مختلفة من منظور المدارس الغربية ومن المنظور الإسلامی. ولكن العناصر الإسلامية للإسلوب لم يتم التعريف بها من قبل بشكل واضح منهجی من خلال الآيات القرآنية المباركة.

يتناول هذا المقال الأسلوب الأدبی وعناصره وآراء القدماء فی ذلک بالإضافة إلى الأسلوب ومعانيه من منظور المدارس الغربية المعاصرة وذكر الفوارق الرئيسة بين المواقف العلمانية والإسلامية فيما يتعلق بعناصر الأسلوب الأدبی، ومن جملتها الفطرة والنية والإيمان والتوحيد والعقل والعاطفة والشعور والموهبة والميول والرغبات وكذلک دور المسؤولية فی هذا الأدب مستعينا بالمنهجين التوصيفی والتحليلی مع الاستشهاد بالآيات القرآنية كما تطلب الأمر ذلک.

**الكلمات الدليلية:** الأسلوب الأدبی، الأسلوبية، العناصر، الإسلامی، القرآن الكريم.

---

*. جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران. (أستاذ مساعد). hajikhan1347@yahoo.com
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. حسن شوندی
تاريخ الوصول: ١٣٩١/٦/٢٠هـ. ش
تاريخ القبول: ١٣٩١/١٠/٢٢هـ. ش

## المقدمة

استخدمت كلمة الأسلوب فى الآداب العربية القديمة للدلالة على تناسق الشكل الأدبى، واتّساقه، فى كلام البلاغيين حول إعجاز القرآن الكريم، وأقدم من استخدم هذه اللفظة كان الباقلانى فى كتابه المسمي بإعجاز القرآن. فقد أوضح أنّ لكل شاعر أوكاتب طريقة يعرف بهاوتنسب إليه. ومثلما يتعرّف المرء على خط صاحبه إذا وضع بين خطوط عدة، فإن القارئ البصير بالشعر أو النثر يتعرّف على أسلوب صاحبه. (خليل، ١٩٩٧م: ٢٦)

وقد كثرت آراء القدماء من العلماء المسلمين حول الأسلوب من عبدالقاهر الجرجانى وابن خلدون وغيرهما من العلماء، كما أن هناك آراء متعددة حول الأسلوب عند العلماء الغربيين القدامى خاصة عند أرسطو، كما كثرت الآراء عند المعاصرين فى موضوع الأسلوب. وقد تنوعت الأساليب، وذكرها الأدباء من جملتها الأسلوب البسيط والمعتدل والجزل، كما أن هناك الأسلوب العام والأسلوب الفنى وغيرها من الأساليب التى تناولتها الكتب المتعلقة بالأسلوب.

ولايخفى أنّ هناك علاقة بين الأسلوب والأسلوبية إذ يرى البعض أن الأسلوبية هى علم الأسلوب، وهى دراسة النص ووصف طريقة الصياغة والتعبير وهى بذلك أحدث ما تمخضت عنه علوم اللغة فى العصر الحديث. (أحمد سليمان، ١٩٩١م: ٩) إن للأسلوب عناصر متعددة تختلف باختلاف رؤى الباحثين. فهى ليست واحدة عند العلمانيين والمسلمين.

يهدف هذا البحث إلى إظهار عناصر الأسلوب الأدبى الإسلامى من خلال الآيات القرآنية الكريمة التى تميّز الأسلوب الإسلامى عن غيره وهى كثيرة. حاول الباحث تسليط الضوء على أهمها بذكرها وتدعيم الفكرة بالآيات التى يفهم منها هذا الأمر. وقد سبق هذا البحث بعض الدراسات والبحوث التى تناولت جوانب من هذا الموضوع ومن جملتها كتاب ''علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته'' لصلاح فضل، وكتاب ''الأدب الإسلامى، إنسانيته وعالميته'' لعدنان النحوى، وكتاب ''الأسلوبية ونظرية النص'' لإبراهيم خليل، ثم كتاب ''الأسلوب، دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية'' لأحمد

الشـــائب، وأخيرا مقالة تحت عنوان ''الأسلوبية العربية والبلاغة العربية'' لبندر مبارك السنانى.

غير أن الباحث على الرغم من اســتفادته من هذه الدراسات فأنه حاول الربط بين الموضوع والقرآن الكريم من خلال الاستشــهاد بآيات وجدها مناسبة للفكرة التى أراد إثباتها كعنصر من عناصر الأسلوب الأدبى والمجال هذا مجال خصب يتطلب الكثير من البحوث والدراسات لإكمال المسيرة ووضع القواعد الثابتة للموضوع.

## الأسلوب لغة

الأســلوب فى اللغة «الطريق ويقال سلكتُ أســلوب فلان فى كذا: طريقتَهُ ومذهبه، والأسلوب طريقة الكاتب فى كتابته، والأسلوب الفنُّ. يقال: أخذنا فى أساليب من القول: فنونٍ متنوعةٍ.» (إبراهيم، عبدالحليم، عطية، خلف الله، ١٤٠٨ق: ١٤٤)

يقول ابن منظور فى لسان العرب: «يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهوأســلوب، قال: والأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب. يُقال: أنتم فى أسلوب سوءٍ ويجمع الأســاليب. والأسلوب الطريق نأخذ فيه والأسلوب بالضّم الفن. يقال أخذ فلان فى أساليب من القول أى أفانين منه، ويقال: إنّ أَنْفَه لَفى أسلوب إذا كان متكبرا.» (ابن منظور، ج٦، ١٩٨٨م: مادة سلب)

يقــول صاحب القاموس المحيط: «الأســلوب: الطريق وعنق الأســد والشــموخ فى الأنف.» (الفيروزآبادى، ١٤١٩ق: مادة سلب)

وقد جاء فى تاج العروس: «الأســلوب بالضّم: الفن يقال: أخذ فلان فى أساليب من القول، أى أفانين منه. الأسلوب عُنُق الأسد، لأنّها لاتُثنى.

ومن المجاز: الأســلوب الشــموخ فى الأنف، وأنّ أنفه لفى أســلوب إذا كان متكبرا لايلتفت يمنة ولايسرة.» (الزبيدى، الحسينى، الغرباوى، ج٣: ١٩٦٧ق: مادة سلب)

## الأسلوب اصطلاحا

قد جعل عبد القاهر الجرجانى من كلام الباقلانى الســابق عن الطريقة والأســلوب كلاما علي النظم الذى هو أشمل وأعم دلالة من الأسلوب. ولكنه استعمل كلمة الأسلوب

فی غيرموضع، ويعرّفه بقوله: «الأسلوب : الضرب من النظم والطريقة فيه.» (الجرجانی، ۱۹۸۱م: ۳٦۱)

والجرجانی فی هذا التعريف لايبتعد عن مفهومه للنظم، بل إنّه يطابق بينهما بوصفهما مثلين لإمكانية خلق التنوعات اللغوية القائمة على الاختيار الواعی، من حيث إمكانية هــذه التنوعات فی أن تصنع نســقا وترتيبا من خلال الاحتمــالات النحوية القائمة فی بنيــة الجملة، لأنّ توالی الألفاظ فی النطق لايصنع نســقا أبــدا وإنما يصنعه قصد المبدع إلی التأليفــات بأســلوبها الذی يميزها، والــذی يربط غالبا بالغــرض العام من الكلام، فالأسلوب يقترن بالطريقة التی تألّف عليها الكلام.

وفی الحقيقــة تكلم عبد القاهرعن شــیء آخر هو «النســق» و»الصّورة»، وتحدّث بالتفصيل عن المجاز والاستعارة وتمثيل الحسِّيات، وأسلوب التقديم والتأخير، ومباحث الفصل والوصل، وتأثيركلّ من هذه الأساليب فی الدلالة والمعنی.(خليل، ۲۰۰۲م: ۱۳۸)

أمّــا إبن خلــدون فيقول إن «الأســلوب هو عبارة عــن المنوال الذی تنســج فيه التراكيــب أو القالــب الذی تفرغ فيه، وهو يرجع إلی الصــورة التی ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشــخاصها وهي الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربیّ.» ثم يقــول: «إنَّ هذا المنوال أو القالب، بعد أن ينتزع صورته الصحيحة نحوا وإعرابا وبيانا، هو يتسّع بالحصول الوافی بمقصود الكلام و... .فإنّ لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه علي أنحاء مختلفة.» (ابن خلدون، ۱۳۲۷ق: ٦٦٦)

يشير الزرقانی فی كتابه «مناهل العرفان» إلی مفهوم الأسلوب فی اصطلاح البلاغيين قائلاً:

«هــو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانی قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعانی، فأسلوب القرآن هو طريقته التی انفرد بها فی تأليف كلامه واختيار ألفاظه.» (الزرقانی، ج۲: ۱٤۰۸ق: ۱۹۹)

يقول أحمد حســن الزيات «إنّ الأســلوب هو طريقة خلق الفكــرة... وإبرازها فی الصورة اللفظية المناسبة.» (الزيات، لاتا: ٦۲)

لكن أحمد الشــايب فيحدّدهُ بأنّــه «طريقة التفكير والتصوير والتعبير.» (الشــايب،

١٩٤٥م: ٤٦)

وهكذا نري أنّ الأسلوب فی نظر القدماء والمعاصرین یشمل الناحیتین المعنویة واللفظیة جمیعا.

## أنواع الأسالیب

هناک أنواع مختلفة من الأسالیب یعالجها القدماء والمحدثین. أمّا الغربیون منذ الیونان إلی الیوم فیمیزون بین ثلاثة أنواع من الأسالیب وهي:

١. الأسلوب البسیط أو السهل.

٢. الأسلوب المعتدل أو الوسیط.

٣. الأسلوب الجزل أو السامي.

وهو التقسیم الذی یربط هذه الأسالیب بالموضوعات التی یعالجها الخطاب اللغوی وخاصة الخطاب الأدبی. ولذلک هم یقولون فی الأسلوب الأول البسیط أو السهل، إنّه یصلح للرسائل والحوار، وفی الثانی المعتدل أو الوسیط، إنّه یصلح للتاریخ والملهاة، فی حین أن الأسلوب الثالث، الجزل أو السامی یصلُح للمأساة إلا أنّ هذا الرأي خلافی، بدلیل أن الأنواع الأدبیة الحدیثة کالروایة والمسرحیة الإجتماعیة تستهلک عدة أسالیب تظل فیها ناجحة. (السنان، ٢٠٠٩م: WWW.merbad.net/vb/showthread.php)

وهناک تقسیم آخر خاص، بالنظر إلی الظواهر الأسلوبیة والتحلیل الدقیق لجزئیات العمل الأدبی واکتشاف العلاقات بین هذه الجزئیات، ویمکن علي ضوء ذلک تقسیم الأسلوب إلی ثلاثة أنواع:

١. الأسلوب العام.

٢. أسلوب العناصر الفنیة.

٣. أسلوب النثر والشعر.

أمّا الأسلوب العام، فهو الذی یجمع بین العوامل والعناصر الفنیة لیجری بینها التفاعل.

وأسلوب العناصر الفنیة، هو الأسلوب الخاص ببناء کل عنصر وتحدید دوره.

وأســلوب النثر والشــعر، يميّز بين أســاليب النثر وأســاليب الشــعر وأساليب سائر الأجناس الأدبية، ذلک لأن للشــعر أساليب خاصة متميزة من أساليب النثر. وأساليب الشــعر يفرض تميّزها الوزن والقافية. فالوزن والقافية يتطلبان أســلوبا خاصا، فتنساق الألفاظ لتأخذ مكانها العادل فى التعبير الفنى، ولتســاهم فى إقامة الوزن الشعرى وبناء القافيــة، وحركة الألفاظ هــذه فى رعاية الموهبة والعقيدة، تبنى تعبيرهــا الفنّى المتميّز، وتتفاعل مع الموضوع وســائر العناصر لتبنى الأســلوب الشــعرى أو النثرى. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٨٦-٢٨٧)

## الأسلوب ومعانيه من منظور المدارس الغربية المعاصرة

يشــير الدكتور صلاح فضل إلى الجذور اللغوية لكلمة "أسلوب" فى اللغات الأروبية قائلا: «لقد اشــتقت كلمة "أســلوب" فى اللغات الأروبية المعروفــة من الأصل اللاتينى "stilus" وهــو يعنى "ريشــة" ثم انتقل عن طريق المجــاز إلى مفاهيم تتعلق كلها بطريقة الكتابــة؛ فارتبط أولا بطريقــة الكتابة اليدوية، دالا علي المخطوطــات، ثم أخذ يُطلق علي التعبيرات اللغوية الأدبية؛ فاسـُتخدم فى العصر الرومانى -فى أيام خطيبهم الشهير "شيشيرون"-كاستعارة تشير إلى صفات اللغة المستعملة؛ لامن قِبَل الشعراء، بل من قبل الخطبــاء والبلغاء، وقد ظلت قذه الطبيعــة عالقة إلى حدما بكلمة "style" حتى الآن فى هذه اللغات إذ تنصرف أولا إلى الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام المنطوق.

ولما كانت الأعمال الأدبية تختلف أساســا عن الخطابــة واللغة المنطوقة، فإن تعلق مفهوم الأســلوب بها يشــير إلى بعض الخواص الكلامية فيها.ويري بعض الباحثين أن اشــتقاق الكلمة مــن أصل لاتينى -لا إغريقى-كما هي الحــال فى معظم المصطلحات البلاغية الأخري له أهمية خاصة، فأرســطومثلاً يستخدم «lexis» أى لغة أوكلمة مقابل "Taxis" أي "نظام" التى تترجم عادة بقول أو أسلوب، لكن كلمة "Stylos" تعنى فى اللغة الإغريقية "عمودا"، ومن هنا جاءت تســمية زاهد متصوف مثل "سيميون" "الأستيليتا" إذ كان يعيش علي عمود قديم تقشفا وزهدا.أمّا شكل كلمة "style" فى اللغة الإنجليزية، بــدلا مما كان ينبغــى أن تُكتَب به "stil" فمبنى علي أســاس توهــم الأصل الإغريقى،

لامطابقة الأصل اللاتينی الحقيقی کما يقول قاموس "أوکسفورد". (فضل، ١٩٩٨م: ٩٣)

وهناک تعاريف مختلفة للأسلوب عند أصحاب المدارس المختلفة الغربية المعاصرة التی تدرس الأسلوب والأسلوبية معاً،حسب تصوراتها واعتقاداتها، وفيما يلی بعض هذه التعاريف:

يقول "شوبنهاور": «الأسلوب هو مظهر الفكر.» (عياشی، لاتا: ٣٤)

يقول"فلوبير": «الأسلوب وحده طريقة مطلقة لرؤية الأشياء ويُتصوّر الأسلوب بالأثر الذی يترکه.» (المصدر نفسه: ٣٥)

يقول "ستاروبنسکی": «الأسلوب إعتدال وتوازن بين ذاتية التجربة ومقتضيات التواصل، أو تجربة الاعتدال بين الأنا والجماعة، فيکون حلا وسطا بين الحدث الفردی والشعور الجماعی.» (المصدر نفسه: ١٤٧)

يقول "ريفاتير": «الأسلوب هو فُرادة النصّ.» (المصدر نفسه: ١٥٣)

ويقول "بييرجيرو": «إنّ کلمة أسلوب إذا رُدّت إلی تعريفها الأصلی، فانّها طريقة للتعبير عن الفکر.» (المصدر نفسه: ٣٧)

ويقول "بوفون": «الأسلوب هو الرجل.» (المصدر نفسه: ٣٤)

وأمّا الدکتور منذر عياشی مضافا إلی هذه التعاريف للأسلوب، فيشير إلی تعاريف أخري مطروحة من أصحاب هذه المدارس منها: «الأسلوب حدث لغوی من غير اتفاق.» (المصدر نفسه: ١٢٢)

«الأسلوب نظام لنصّ مخصوص لايُقبل القياس عليه.» (المصدر نفسه: ١٠٤)

«الأسلوب جزء من القراءة.» (المصدر نفسه: ٢٠١)

«الأسلوب جزء من المکتوب.» (المصدر نفسه: ٣٧)

«الأسلوب خطاب لايعترف بنظامه الخاص.» (المصدر نفسه: ١١٦)

«الأسلوب لغة تخلق نظامها بعد أن لم يکن وتتحلّي به.» (المصدر نفسه: ١٠٤)

«الأسلوب نظام غير معياری يؤسس اللغة علي خلاف القاعدة ولايعطی للنسق الذی يستخدمه ثَباتا قاعديّا ولاقوة معيارية.» (المصدر نفسه: ٩٨)

يشير الدکتور فتح الله أحمد سليمان إلی تعريف آخر للأسلوب، لايخرج عن

التصورات التى عُرِضت قبله وهو: «الأسلوب يعبّر تعبيرا كاملا عن شخصية صاحبه بل ويعكس أفكاره ويظهر صفاته الإنسانية، وهذا التعريف من زاوية ما يسميه المنشيء.» (أحمدسليمان، ١٩٩١م: ٩)

ثمّ يقدم تعريفا آخر من زاوية النص الذى يعتمد على ثنائية اللغة، الثنائية التى تقسم اللغة إلى مستويين، مستوي اللغة وبُنيتها الأساسية، ومستوي الكلام. والمستوي الثانى -مستوي الكلام- ينقسم إلى قسمين آخرين: الاستخدام العادى للغة والاستخدام الأدبى.» (المصدر نفسه: ١٠)

كما مرّ فى التعاريف السابقة فالأسلوب هو النظام، خطاب الرجل والشكل واللغة والتعبير عن شخصية صاحبه وجزء من القراءة أو ليس جزءا من القراءة، بل من الكتابة وفرادة النص واختيار وحدث لغويّ وحدث فكرى ومن الطبيعى أن تتولّد من كل تعريف اتجاهات مختلفة.

## العلاقة بين الأسلوب والأسلوبية

ممّا لاشک فيه أنّ الأسلوب وما يعادل هذه الكلمة فى اللغات الأخري موغلة فى القدم فى مفهوم الإنسان ولغته ونشاطه فى مختلف ميادين الحياة، فهنالک "أسلوب" لكل نشاط، فمثلا أسلوب فى الكتابة والخطابة والقراءة وأسلوب فى التفكير وأسلوب فى الإدارة والسياسة ونحوها.

أمّا "الأسلوبية" فهى مصطلح حديث يَدرس "الأسلوب" فى اللغة حين يُمارسه الإنسان كلاما ينطق به أو يكتبه، فإذن تمتدّ الأسلوبية امتداد اللغة والأسلوب.

يقول الدكتور منذر عياشى: «... ومادامت اللغة ليست حكرا علي ميدان إيصالى دون ميدان، فإن موضوع الأسلوبية ليس حكرا -هو أيضا- علي ميدان تعبيرى دون آخر.» (عياشى، لاتا: ٢٩)

ويقول الدكتور عدنان على رضا النحوى : «والأسلوبية هي "علم" كما يراها بعض الدارسين الغربيين، أو هي "نقد" أو "فلسفة" أو "نهج"، كما يراها آخرون تقترن دائما بالأسلوب. فحيثما وجد أحدهما وُجد الآخر، فإذن "الأسلوب والأسلوبية" (style and stylistic) متلازمان.» (النحوى، ١٩٩٩م: ١٥٤)

یبدو مما ســبق أنّ ''الأسلوب'' مفردة مستعملة فی میادین مختلفة عند القدماء ومنها الأدب، أمــا ''الأســلوبیة'' فمصطلح حدیث یدرس الأســلوب فی اللغة حین یمارســه الإنسان کلاما ینطق به أو یکتبه، فإذن تمتد الأسلوبیة امتداد اللغة والأسلوب کما أشیر.

ویبدو أنها ولو لم تکن مســتعملة عند القدماء، ولکن کلّ کاتب أو شــاعر أو خطیب قدیم یعرف بأسلوبه الخاص فی نثره أو شعره أو خطابته، وإذن لیس مفهوم الأسلوبیة إلا العلم بالأسلوب بغضّ النظر عن العوامل التی طرحت فیها فی اتجاهاتها الیوم.

أمّا الدکتورأحمد سلیمان فیعتبر الأسلوبیة أحد مجالات نقد الأدب قائلا: «الأسلوبیة علم الأسلوب وهی دراســة النص ووصف طریقة الصیاغة والتعبیر وهي أحد مجالات نقد الأدب اعتمادا علي بنیته اللغویة دون ماعداها من مؤثرات اجتماعیة، أو سیاسیة، أو فکریة، أو غیر ذلک. والأســلوبیة هي أحــدث ما تمخضت عنه علوم اللغة فی العصر الحدیث.» (أحمد سلیمان، ۱۹۹۱م: ۹)

ویری الدکتور صبری مســلم: «إذا قلنا علم الأســلوب، فإنّنا نقترب من الأسلوبیة حد الترادف، لأن الأســلوبیة فی بعض وجوهها متأثرة بالمنطق العلمی والنسق المنهجی، وهما من معطیات هذا العصر الذی یهیمن فیه العلم علي کل شيء، ومن ذلک إنه یخضع الأسلوب للرؤیة النهجیة.» (صبری، ۲۰۰۹م: www.26sep.net)

کمــا یتضح من القولین الســابقین فــإن الآراء حول تقدیم تعریف عن الأســلوبیة وعلاقتها بالأســلوب قدتتفاوت بین الأدباء غیر أنّ هناک أشــیاء تجمع بین هذه الآراء کما هو واضح فی الرأیین السابقین.

## الافتراق الرئیسی بین المواقف العلمانیة والإسلامیة فی المیدان الأدبی

ومــن المواضیع الهامة التی تســتحق الدراســة، تفکیک المواقف الغربیــة العلمانیة والإسلامیة بالنسبة للأسلوب والأسلوبیة.

ومما لاشــک فیه أن هنالک منهجین مختلفین کلّ الاختلاف من حیث النظر والتصوّر للکون والحیاة والإنســان وکذلک للغة ودورها، ومن ثمّ للأدب ومهمته ودوره، وأن کل تصوّر من هذین التصورین یقود إلی تصور خاص به بالأسلوب والأسلوبیة.

وأهمية هذا الموضوع فی واقع المسلمين اليوم تبرز حين تسلّل الفكر العلمانیّ إلی العالم الإسلامی بكل أوجه نشاطه السياسیّ والاقتصادی والاجتماعی، وكذلک الأدبی بميادينه المختلفة وكذلک دور اللغة ومنزلتها.

بتصفح صفحات التاريخ، يظهر جليا أن هذه الفكرة ظهرت بعد الثورة الصناعية والتطور العلمی ظهورا فی مسمَّيين اثنين "العلمانية" بفتح العين مرادفها "secularism" أی عزل الدين عن الحياة فی جميع ميادينها، والنظر إلی الحياة نظرة مادية كاملة وهي مأخوذة من كلمة "العَلْم" بمعنی العالَم وما حواه بطن الفلک و"العِلمانية" بكسر العين مرادفها "scientism" من كلمة "العِلم" بمعناه البشری وإخضاع كل شيء لعلم الإنسان وتجاربه، وكلاهما يدعو إلی عزل الدين عن ميادين الحياة، وعزل تصوّر الدار الآخرة والإيمان والتوحيد. (النحوی، ۱۹۹۹م: ۱۰)

ولقد طرحت "العَلمانية" أو "العِلمانية" تصورات مادية مختلفة فی الفلسفة والفكر والأدب والنقد ومختلف ميادين الحياة.

لقدكان من أبرز معالم هذه الاتجاهات أنّها اتجاهات مادية، تعزل الموضوع عن كل ما لايرتبط به ارتباطا ماديا، وتعزل الموضوعات كلَّها عن "الغيب" وعن الدار الآخرة وعن الإيمان والتوحيد، وأخذت تعتبر العقل البشري مصدر كلّ فكر، والعلمَ الذی تبلغه هو الأساس الذی تقوم عليه الحياة، وكلّما بلغ الإنسان نجاحا جديدا فی علم جديد، كان يغمره الفرح بعلمه هذا، وينسيه ضرورة التأمل الأوسع فی الكون. وهذه الأوصاف تذكّرنا بالآية الشريفة التالية: ﴿فلمّا جاءَتهُم رُسُلُهم بالبَيّنات فرِحوا بما عندَهُم مِن العِلم وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزؤونَ﴾ (غافر: ۸۳)

وعندما عزلت العلمانية "الغيب" عن الحياة الدنيا وعن جميع ميادينها وجدت نفسها أَمام تناقضات كثيرة تبدولها، ووجد العلمانيون أنّهم كلّما نجحوا فی حل مشكلة واحدة ظهرت أمامهم مشاكل جديدة، لم تكن ظاهرة ولم تكن تخطر ببالهم.

وكلّما سار الإنسان فی هذا الكون مسافة امتدت أمامه آفاق أبعد وأوسع، وكأنّما لم يَسِرْ إلا خطوات قليلة فی مسافات لامتناهية.

ومن المعالم البارزة الأخري لهذه الاتجاهات المتأثرة بالعلمانية، هي الرغبة فی

إخضاع کل شیء للعلم، أو لما یسمونه "علما" وکان من بین ذلک الأدب، ومایتصل به.

یري الدکتور عدنان النحوی کل مذهب من هذه المذاهب ردّ فعل للمذهب السابق، إذ یقول: «وحین نطالع هذه المذاهب، نجد أن هنالک خصائص واقعیة تساعد علي فهم المذاهب والأحداث. فمن أهم هذه الخصائص أن کلّ مذهب کان یأتی ردّ فعل للمذهب السابق، ویمهّد فی الوقت نفسه لظهور مذهب جدید کردّ فعلٍ له. وسبب ذلک هو أن معظم الفلاسفة ورجال الفکر والأدب نفضوا أیدیهم من "الغیب" والدار الآخرة، وحقائق الإیمان والتوحید. واعتمدوا التصورات البشریة التی لاتستطیع إلا أن تأخذ بجزء من الحیاة.» (المصدر نفسه: ۲۰)

## أهمّ العناصر المتعلقة بالأسلوب الأدبی من القرآن الکریم

مما لاشک فیه، أن لکلّ أدب عناصره التی تبنیه وتبنی جماله ونهجه. فما هو الأسلوب الأدبی من منظور القرآن الکریم؟ ولکی ندرس هذه العناصر فی الأسلوب الأدبی من منطلق القرآن الکریم لابد من وقفة مع الأدیب المنتج الذی یبدع هذا الأدب فهو الرکن الأساسی فی هذه العملیة.

إذن یمکن أن نقسم هذه العوامل فی مجموعات منها العناصر المتعلقة بالأدیب المنتج وفطرته وذاته وآثارها الظاهرة فیه من إیمان وتوحید، ونیّة وفکر وعاطفة، وموهبة وغیر ذلک، والتفاعل الذی یتمّ بینها فی فطرة الأدیب والعناصر الخارجة عن الأدیب والمؤثرة فیه کالبیئة والنشأة وتاریخها، والواقع الذی تولّد فیه الموضوع والنص من مکان وزمان وأحداث وما یترک ذلک من آثار فی النفس والفطرة.

أما الدکتور النحوی فلا یکتفی بإعطاء الدور الأساسی للأدیب فحسب، بل یولی اهتماما کبیرا بالنص الأدبی کجزء آخر من عملیة الإبداع حیث یقسم العناصر المتعلقة بالنص إلی الصیاغة الفنیة، الموضوع الفنّی والفکرة الموحیة، والجنس والشکل الأدبی والأسلوب. (م.ن: ۲۵۷)

فیما یلی یُدرس دور کل واحد من هذه العناصر ومدي تأثیرها فی الأدیب مستندا إلی الآیات القرآنیة.

### ١. الفطرة

سواء أكان الأسلوب مرتبطا بالأديب المنتج أم بالنصّ الفنى أم بالمتلقّى فإنّه فى جميع الحــالات مرتبط بالموضوع الذى يطرقه الأديب ويحمله النّــص، والموضوع فى الحقيقة يخرجُ من الإنسان، من طاقته ووسعه ومن تفاعله مع الحياة. إنّه يخرج من إيمانه وعلمه وتجاربــه ومن زاده الذى تحملــه فطرته مع ما تحمل الفطرة مــن قوي أخري وطاقات وميول ورغبات أودعها الله فى كيان الإنسان وخلقه وما نعرفه بالفطرة.

ماهــي هذه الفطرة؟ إنها الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما يقول الله عزّوجل فى كتابه الكريم:

﴿فأقِــم وَجهَکَ لِلدّينِ حَنيفاً فِطرَتَ اللهِ التى فَطَرَ النّــاسَ عَلَيها لا تبديلَ لِخَلقِ الله ذلِکَ الدّينُ القيّمُ ولكنَّ أكثرَ النّاس لايعلَمونَ﴾ (الروم: ٣٠)

ويمكن أن نعتبر الفطرة المســتودَع الذى يضم مختلــف القوي والقدرات التى أودعها الله فيها. أو أن نشــبهها بالبســتان الذى يضم الغراس المختلفة والنبع الذى يروى هذه الغراس.

وقد أكّد رسول الله (ص) فى حديثه الشريف وجودالفطرة فى كل مولود إذ يقول: «كلُّ مولــودٍ يولَدُ علي الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّســانه.» (الكلينى، ١٣٦٥ش: أصول كافى)

وللفطرة بصورة عامة حالتان: فطرة ســليمة ســوية كما فطرهــا الله تبارک وتعالى، وفطرة شُــوِّهت بالآثام والمعاصى، وانحراف الأبوين أو تقصيرهما، وبتأثير مختلف قوى البيئة والمجتمع، فيما سمّيت بالفطرة الخاملة.

ويبيّن لنا القرآن الكريم هاتين الحالتين فى آياته المتعددة نشير منها إلى سورة الشمس حين يقول: ﴿ونَفس وما سَوّاها فَأَلهَمَها فُجورَها وتقواها قد أفلَحَ مَن زكّاها وقَد خابَ مَن دسّاها﴾ (الشمس: ١٠-٧)

فإذن أن الفطرة هي أساس التصور للإيمان والتوحيد، وأساس المنهج الإيمانى للتفكير، وأساس التربية والبناء فى الإسلام.

ومن الفطرة ومن تفاعل القوي العاملة والمســتودعة فيها ينطلق عطاء الإنســان، و

يظهر من هذا العطاء الموضوع والنصّ الأدبی والأسلوب والأسلوبية.

ومن هنا كانت حماية الفطرة أوّلَ حق للإنسان. إنها الحق الأول الأساسی الذی أغفَلته الحضارة العَلمانية، كما أشير ولم تلتفت بإغفاله بل أوجدت جميع العوامل التی تُدمّر الفطرة أو تشوّهها.

## ۲. الإيمان والتوحيد

إن أول طاقة أودعها الله فطرة الإنسان هی الإيمان والتوحيد. والآية الكريمة تشير إلی أن الفطرة هي الدين: ﴿فأقِم وَجهَکَ لِلدّينِ حَنيفاً فِطرَتَ اللهِ الّتی فَطَرَ النّاسَ عَلَيها﴾ (الروم: ۳۰)

وطبعا أساس هذا الدين هو الإيمان بالله والتوحيد. ويؤكد القرآن الكريم بأن الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده أمر فطري فی الإنسان كما يقول: ﴿فإذا رَكِبوا فی الفُلکِ دَعَوُا الله مُخلِصينَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُم إلی البَرِّ إذا هُم يُشركون﴾ (العنكبوت: ٦٥)

الإيمان والتوحيد هما الينبوعان الغنيان الصافيان اللذان يرويان جميع القوي والميول فی الإنسان ريّا عادلا متوازنا علی أساس سنن الله. حتّی تؤدی كلّ طاقة دورها الحقيقی الذی خُلقت له. وفی هذه الحالة تكون الفطرة سليمة والنفس سوية، ويصل الإنسان إلی الإفلاح كما قال الله تبارک وتعالی: ﴿قد أفلحَ مَن زَكّاها﴾ (الشمس: ۹)

فيصبح عمل هذه الطاقات "تقوی" أما إذا تعطل هذا النبع أو سُدّ أو استبدل به غيره فإن الریّ ينقطع أو يفسد أو يضطرب ولا تروي الميول والقوي ريّا متوازنا وعندئذ يكون انحراف الإنسان وخيبته كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وقَد خابَ مَن دَسّاها﴾ (الشمس: ۱۰)

ويصبح عمل هذه الطاقات المنحرف فجوراً.فإذن منَّ الله علي عباده جميعاً أن جعل الإيمان والتوحيد فی فطرة كلّ إنسان، وجعله عهدا وشهادة وموثقا كما قال الإمام علی (ع): «فبعث فيهم رُسُلَهُ وواتَرَ إليهم أنبياءهُ لِيستأدُوهم ميثاق فطرتِهِ.» (نهج البلاغة: الخطبةالأولی)

### ۳. النيّة

النيّة فی الإسلام ركن فی الشعائر. وهي قصد التوجه القلبی إلی الله سبحانه وتعالی مع توافر العزم والتصميم ومع توافر الرؤية الواضحة للدرب والهدف، والوسيلة والأسلوب. فإذن منطلقها القلب المرتبط بالفطرة، فهي توفّر تهيئة للنفوس بذلک قبل مباشرة العمل وتثبيتاً للصلة الخالصة مع الله. وهي فی الحقيقة تهب النفس الطمأنينة والأمن. النية قضية يتفرد بها الإسلام. وهي الأساس الذی يجب أن يقوم عليه العمل حتی يُقبَل عند الله، علي أن يكون العمل خاضعا لله.

فعن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلّم قال: «إنما الأعمال بالنيات والخواتيم.» (عابدينی مطلق، ۱۳۸۷م: ۱۲٦)

وهي وعی وإدراک للعمل الذی يُقبِل عليه المؤمن مهما كان العمل، كلمة تقال أو أدبا يخطّه، أو فعلا يقوم به إنها تطرد الغفلة والارتجال، وتقوّی العزيمة وصدق التوكل.

«النية توفّر الحوافز الإيمانية إلی المبادرة الذاتية، وتدفع المؤمن إلی أن يلتزم حدود الله، فلها دور عظيم فی الأدب ودور قوی فی الأسلوب... إنها القوة الدافعة للجمال الفنی، وهي التی تهب الموهبة طاقة الحركة والعمل، فتُولد الخفقة فی الجمال والدفقة فی العطاء. إن النية هي مفتاح يَنبوع الإيمان والتوحيد ليروی النبع عندما تفتحه النية جميع القوي العاملة فی الفطرة ريّا متوازنا. (النحوی، ۱۹۹۳م: ۲۳۷)

والنقطة الأولی اللائقة بالذكر هي أنّ النية طاقة فی كلّ انسان إمّا مؤمنا متقيا صالحا وإمّا فاسدا كافرا فاجرا. فالمؤمن الصادق تتجه نيته إلی الله سبحانه وتعالی علي وعی وعزيمة وتصميم. أمّا الكافر فتتجّه نيته إلی الدنيا وشهواتها علي حذرٍ وفتنةٍ يُزيّن له الشيطان بها عمله حتی يحسبه وعيا، ثمّ تنكشف له الحقيقة ويُذهَب عنه الحذر وتُرفَع عن عينيه الغشاوة إن عاد واهتدي، أو يوم القيامة: ﴿لَقَد كُنتَ فی غَفلةٍ مِن هَذا فَكَشَفنَا عَنکَ غِطَاءَکَ فبَصَرُکَ اليَومَ حَديدٌ﴾ (ق: ۲۲)

والنقطة الثانية اللائقة بالذكر هي أن من الممكن أحيانا رؤية بعض مظاهر الخير فی عمل رجل فاسد أو فاجر أو كافر. فلا يكون ذلک إلا من أثر البقيّة الباقية من الفطرة المشوّهة، فيكون العمل غير مرتبط بالنية الصادقة لله، فلا يُقبَل عند الله كما يقول القرآن

الكريم: ﴿وقَدِمنا إلى ما عَمِلوا من عَمَلٍ فجَعَلناه هَباءً منثوراً﴾ (الفرقان: ٢٣)

### ٤. العقل والتفكير

إنّ العقل طاقة فى كيان الإنسان، والقرآن الكريم يعبّر فى كثير من آياته عن هذه الطاقة بالقلب أو اللب والذى نفهمه من ذلك أن القلب هو الذى يسيطر أو يغذّى سائر الأجزاء. كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَم يَسيرُوا فِى الأَرضِ فَتَكونَ لَهُم قُلوبٌ يَعقِلُون بِها أَو آذانٌ يَسمَعُون بِها فإنّها لا تَعمي الأبصارُ ولكِن تَعمَى القُلوبُ الَّتى فِى الصُّدُور﴾ (الحج: ٤٦)

والعقل حين يعمل يُطلِق التفكير. والعقل والتفكير يمثلان قدرة الإنسان علي التأمل والتدبّر، والدراسة والبحث، وجمع المعلومات وتركيبها وتحليلها، والنظر والاستكشاف، والفهم والاستيعاب، والتنسيق، واتخاذ القرار والموقف.

٥. العاطفة والشعور

العاطفة هى طاقة أخري فى الإنسان، إنها القوة التى تهيِّء العين فتدمع، وتدفع القلب فيخفق، إنها تطلق الحنان أو القوة، والرحمة أو الغلظة واللطف أو الخشونة. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٢٤)

إنها طاقة فى الإنسان لاتعمل وحدها، ولكنها تعمل مع سائر القوي فى كيان الإنسان، وهى من أهم القوي التى تعمل معها طاقة العقل والتفكير. فحينا تغلب طاقةُ التفكير، وحينا تغلب العاطفة، وحينا آخر تتوازنان.

### ٦. الموهبة

هي طاقة خاصة متميزة يهبها الله لمن يشاء من عباده. والمواهب متعددة ومنها الموهبة الفنية الأدبية. وهذه الطاقة يختلف مستواها أيضا من رجل إلى رجلٍ، ولكنها فى جميع الحالات ترعي وتنمّى بعض الطاقات فى فطرة الإنسان. ويرعاها كذلك الإيمان والتوحيد ومن خلال هذه الرعاية التى تتم فى ذات الإنسان وفطرته. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٥٣) فى الحقيقة تطلق الموهبة التفاعل بين قوّتى الفكر والعاطفة، لينطلق النصّ الأدبى الفنّى الملتزم بالإسلام.

### ٧. الميول والرغبات

«لقد غرس الله فى فطرة الإنســان ميولا ورغبات، منها الميل إلى الجمال والميل إلى الكشف عن الحقيقة، والرغبة إلى الإحسان والميل إلى الكمال.» (جمعى از نويسندگان، ١٣٦٧ش: ٦٩)

فالإنســان على أســاس ميله إلى الجمال يميّز الجميل من غيره ويرجّحه، ويميل إليه سواءٌ أكان صورةً، أو فعلا، أو نصّاً أدبيّاً، أو خلقا طيبا، وإنه على أساس فطرته يميل إلى أن يكشــف عن الحقائق ويصل إليها ويعترف بها فى أى مجال كانت، وهكذا أنه يرغب أن يُحسِن إلى الآخرين قولا وفعلا، ويميل إلى الكمال ويبحث عنه ولأجل هذا لايتوقف طول حياته عن كسب العلم والأدب والمعرفة.

ويرى على أســاس فطرته التوقف والســكون ســدّا ورادعا للوصول إلى الكمال. فــإذن إنه يميل إلى عبادة الله ومعرفتــه لأن الله تبارك وتعالى هو الكمال المطلق إلا أنّ الإنسان المسلم يري عبادة الله فرضا علي نفسه.

إن هــذه الميول والرغبات ترتوى من نبــع الإيمان والتوحيد حتّى تؤدى المهمة التى خُلِقَت له.

ولــو لم يرتو بالإيمــان والتوحيد والنية الخالصــة فعندئذٍ تصاب الفطــرة بالخمول. وعندما تصبح الفطرة خاملة فلايميّز صاحبها الجميل من الكريه، ولايكشف عن الحقيقة ولايعترف بها، ولايرغب إلى الإحســان، ولافرق لديه عندئذ بين الإحســان والإساءة، ولايبحــث عن الكمال ويتوقــف فى طريقه إليه، وفى النهاية يفقد الطريق الصواب الذى كان يبحث عنه قبل خمول فطرته.

دور "المسؤولية" فى الأديب المنتج من رؤية قرآنية

إنّ الأديب المنتج حسب الرؤية القرآنية نقصد به هنا الأديب الملتزم بالإسلام الذى يضع تعاليمه نصب عينه فى كل إبداع أدبى. ومما ذكر يتبين أن الفطرة والعوامل المدروسة فيها، ليســت هى كل الطاقات والقوي التى وضعها الله فى الإنســان الأديب، ولكن علي أساس الاعتقادات بالإسلام وأحكامه وأصوله، لاشک أنّ هذه العناصر أهمّ ماتُعرف فى الإسلام، ولاشک أن هناک عناصر أخري خفيّة نجهلها فيعطى الله الأديب المؤمن الملتزم

بل يُلهمه خلال خلقه للنصّ الأدبی. (النحوی، ۱۹۹۹م: ۲٤۹)

وهناک عنصر آخر يليق بالذكر والدراسة تُسمّى "بالمسؤولية". وهي التی تجد دورها بعد منح العناصر والطاقات الأخري للأديب، ولاسيما بعد عنصرين مهمين وهما "العقل والتفكير" و"الشعور والعاطفة" إن الإنسان لايُترک بعد أن أعطاه الله هذه العناصر والطاقات، بل جعل الله له مسؤولية محدّدة فی الحياة والمجتمع، حتی يُحاسب عليها يوم القيامة، وكان من أهمها مسؤولية الأديب عن كلمته وتعبيره.

كما يقول الله تبارک وتعالی: ﴿إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولِئکَ كانَ عَنهُ مَسؤُولاً﴾ (الإسراء: ۳٦)

وعلى هذا الأساس لايُتوقع من الأعمي أن يري، ولايُتوقع من المجنون أن يعقل ويفكّر كعاقل سليم، لماذا؟ لأن فاقد الشیء لم يكن معطياً له ولايُسأل عمّا ليس له من القوة والطاقة. فعلی العكس يتوقع من البصير أن يری والعقيل أن يفتكر، وهذا هو مسؤوليتُه بسبب الشيء الذی أعطاه الله إيّاه.

فإذن، المسؤولية قضية رئيسة فی الإسلام، وفی الأدب الملتزم بالإسلام، وحسب الرؤية القرآنية وهذه من أهم نواحی الاختلاف بين النظرة الدينية والعَلمانية فی مختلف ميادين الحياة بعامة، وفی ميدان الأدب والأسلوب والأسلوبية بخاصة.

الأدب الملتزم بالإسلام فی الحقيقة نابع من الإنسان المؤمن، مرتبط به ملاصق له. فهو مسؤول عن كلمته ومحاسَب عليها.

أمّا النقطة اللائقة بالذكر، فهی أنّ مستوي المسؤوليات تختلف فی كل إنسان، فتؤثر فيها العوامل المختلفة منها الظروف والبيئة ونحوهما، فمثلا مسؤولية الإمام تختلف عن مسؤولية المأموم فی المجتمع، كما أنّ مسؤولية المعلّم تختلف عن مسؤولية التلميذ فی الصف.

فإذن، لكل أديب مؤمن مسؤولياته الخاصة التی تقتضيها القوي والطاقات التی وهبها الله له.

## ولادة الموضوع الأدبی وموضع الأسلوب فيه من وجهة نظر قرآنية

فی دراسة الاتجاهات الغربية والعلمانية للأسلوبية يبدو أن بعضهم يري أن الموضوع

الأدبی هو ثمرة تجربة شعورية فحسب، فيركّزون تركيزا شديدا علي الناحية الشعورية حتی كأنها هي العنصر الوحيد المولّد للأدب وموضوعاته. ويري آخرون أن العقل والفكر والحكمة مصدر الأدب وموضوعاته، ويُغفلون الشعور والعاطفة إغفالا كبيرا. ويري آخرون أن الواقع وحده مصدر الأدب وموضوعاته. (النحوی، ١٩٩٤م: ٢٤٨) وبالرجوع إلی الفكر والفلسفة والأدب منذ اليونان حتی العصر الحاضر، يُثبت أن مسيرة ذلک كلّه كانت تعتمد جزئية تحسبها هي الحق الشامل، أو تجعلها الحق الشامل. والجزئية نفسها من تصور بشری مجزوء لايعتمد علي التصور الشامل.

يری الدكتور النحوی أنّ الموضوع هو القضية التی يعرضها النصّ الأدبی من خلال الصياغة الفنية وسائر العناصرا لفنية الأخري واصفا له فی الأدب الملتزم فی الإسلام وصفا جامعا إذ يقول: «الموضوع فی الأدب الملتزم بالإسلام ممتد امتداد الحياة والكون، ويتجاوز الحياة الدنيا إلی الآخرة، إنه يدخل أغوار النفس البشرية، وآفاق الكون وميادين الحياة، ويبحث ويتأمل ويتدبّر، يصف ويروی ويعظ، ينصح ويوجّه، يقوّی ويدعم الحق ويجاهد ضد الباطل، ليري فی كل ميادينه آيات الله البينات... إنه تفاعل المؤمن مع الحياة والواقع من خلال إيمانه ورسالته.

وكان من رحمة الله أن جعل للمؤمنين النموذج الأعلي، النموذج المعجز المتمثل فی الوحی المتنَزل من عند الله علی محمد(ص)، قرآنا عربيّا غير ذی عوج، معجزا لايستطيع أحد من الإنس والجنّ أن يأتی بمثله، ميسّرا للذكر حتی يسّهل علي كل إنسان آمَن واهتدي وعرف العربية أن يتلو كتاب الله ويتدبّره ليمارسه فی الحياة الدنيا، حتی كانت ممارسة منهاج الله فی الواقع البشری هي محور الأمانة التی يحملها الإنسان، وأساس الخلافة فی الأرض، وجوهر العبادة فی الحياة الدنيا، ومعنی عمارة الأرض بحضارة الإيمان وساحة الابتلاء والتمحيص الذی كتب الله علي بنی آدم. فمنهاج الله ودراسته وتدبره يفتح للانسان آفاق الكون وميادين الحياة ليتولد الموضوع الأدبی فی فطرة المؤمن، فی قلبه وعقله وأعصابه وكيانه كله ليخرج الموضوع الصادق من أعماق أعماق نفسه.» (المصدر نفسه: ٢٤٩)

فإذن الموضوع الأدبی فی الإسلام هو ثمرة الإنسان المؤمن مع الحياة من خلال إيمانه

ورسـالته التی یحملها فی الحیاة الدنیا، وإن هذا التفاعل بین الإنسـان والحیاة یستغرق فطرة الإنسـان والقوي والطاقات العاملة فیها.فإذا تكوّن الموضوع فی نفس الإنسـان علي أسـاس هذا التفاعل،فإن القوي تعمل لتطلقه نصّا مسـتكملا عناصره وخصائصه، مسـتفیدا من كل العوامل المؤثرة فی حیاة الإنسان، سواء أكانت ذاتیة داخلیة، أو كانت خارجیة مكتسبة.

مـن بین القوی والطاقات التی ذُكرت سـابقا فـإنّ عوامل مثـل ″العقل والتفكیر″ و″العاطفة والشعور″ تتمیز بأهمّیة خاصة فی بناء النصّ الأدبی.

ولإیضاح دور هاتین الطاقتین فی بناء النصّ الأدبی یمكن تشبیههما بالقطبین، وتشبیه الأحداث والتجارب التی یمرّ بها الإنسـان بالشـحنات الكهربائیة التی تستقرّ علي هذا القطب أو ذاک، مع مسیرة الحیاة تزداد التجارب، فتزداد الشحنات علی القطبین.

ثُمّ تظل شحنات الزاد من العلم واللغة والتجارب والأحداث تتجمّع علي قطبی الفكر والعاطفة، حتی تأتی اللحظة المناسـبة بقدر من الله سـبحانه وتعالی، فیصبح معها طاقتا الفكر والعاطفة، وماتحملان من شـحنات مستعدّتین للتفاعل بینهما، فتتحرک الموهبة فی تلک اللحظة، وتُحرّک التفاعل، وتُطلق من التفاعل الومضة والشعلة نصّا أدبیا مستكملا خصائصه الفنیة والإیمانیة. (المصدر نفسه: ۲۵۲)

إذن فـإن الإنتاج الأدبی والنص الفنی، بكامـل خصائصه الإیمانیة والفنیة، هو نتاج هذا التفاعل فی ذات الإنسـان، وفی فطرته، بین طاقتین رئیسـتین هما الفكر والعاطفة، أو العقل والتفكیر والشـعور والإحسـاس وكما ورد آنفا یساهم فی هذا التفاعل القوي والطاقات والمیول التی أودعها الله فی فطرة الإنسان.

هناک سؤال آخر وهو مَبدَئیة بناء الأسلوب فی الإنتاج الأدبی والنصّ الفنی.

یـری الدكتور النحوی أن الأسـلوب یبتـديء مع أول خطـوة یخطوها الأدیب فی الصیاغة الفنیة قائلا فی وصفها:

«فالصیاغـة الفنیة هي اختیـار اللفظة، وربط اللفظة باللفظـة، والتعبیر بالتعبیر، ثم الفقرة بالفقرة، أو بیت الشعر ببیت الشعر، أو الصورة بالصورة، والحركة بالحركة، والنغمة بالنغمـة، حتی یتكامل النصّ الفنّی، ویتكامل المشـهد بجمیع ألوانه وصورته وجرسـه،

وتبتديء الصياغة الفنية بالكلمة، وللكلمة أربع خصائص توفّر لها القدرة على الدخول فى الصياغة الفنية. هذه الخصائص الأربع هى:

- المعنى المعجمى.
- الظلال المكتسبة من تاريخ استعمالها وتاريخ اللغة.
- قوة الارتباط من لفظة سابقة ولفظة لاحقة.
- ثم الجرس والنغمة.

لتكـون اللفظة بذلک لبنـة إلى لبنة ليقوم النصّ الفنى بتكاملـه، فالكلمة بخصائصها الأربع المتماسـكة تساهم فى الصياغة الفنية ونجاح الأديب يبرز فى اختيار الكلمة التى تجمـع هذه الخصائص الأربع لكلمة أخـري حتى تتكامل الصياغة. مـن هنا يبدأ بناء الأسـلوب، ويبدأ الأسـلوب عمله. إنه يبتديء باختيار الكلمة بخصائصها الأربع. إذن فإنّ الأسلوب يبتديء فى نفس اللحظة التى يبتديء فيها بناء النصّ الأدبى ويمضى معه، ويتكامل الأسلوب حين يتكامل النص الأدبى.» (النحوى، ١٩٩٤م: ١٠٣)

وهنا على أسـاس ما ذُكر مـن العناصر المتعلقة فى ذات الأديـب وفطرته، إن هذا التفاعل والبناء يتمّ فى داخل الإنسـان، فى ذاته من خلال شـبكة ممتـدة فى كيانه كلّه، لتكـوّن هذه فطرته التى فطره الله عليها والقوي العامل فيها. إذن فإنه عمل واع لايمكن أن يكـون بطريقة لاشـعورية، إنه عمـل واع لأن النية عامل من عوامـل بنائه، ولأن الفكر والشـعور عاملان رئيسيان، تستقر عليهما شـحنات الواقع والنشأة والأحداث والتجـارب. إنّه عمل واعٍ لأن الأديب مسـؤول ومحاسَـب علي كلمتـه. فلا يكون فى اللاواقع ولا فى الغيبوبة والسـكر والخَدَر، والشـهوة المجنونة والهوي الغالب. إنه عمل الإيمان والتوحيد الذى يجعل كلَّ كلمة عبادة، وكل عبادة خشـوعا، وكلَّ خشوع حافزا لانطلاقة وعمل، وسـعى وبذل، وكل ذلک خاضع للمسـؤولية والحسـاب. وعلي هذا الأساس يكون لكل قوة عاملة فى هذه الشبكة الممتدة فى كيان الإنسان وفطرته دور فى بناء "الأسلوب" فى النصّ الأدبى.

## النتيجة

١. الموضوع الأدبى فى الإسـلام هو ثمرة الإنسـان المؤمن مع الحياة من خلال إيمانه

ورسالته التى يحملها فى الحياة الدنيا، وإن هذا التفاعل بين الإنسان والحياة يختص فطرة الإنســان والقوي والطاقات العاملة فيها. إذن فإنّ الإنتاج الأدبى والنصّ الفنى، بكامل خصائصه الإيمانية والفنية، هو نتاج هذا التفاعل.

٢. مع ولادة الموضوع والنصّ يُولَد "الأســلوب" فيكون الأســلوب جزءا من النصّ الأدبى الفنى، داخلا فى نســيجه وبنائه، لاينفصل عنه. وهو عنصر أساســى من العناصر الستة المتشابكة التى تبنى الأدب من المنظور القرآنى والأحاديث الشريفة، وهى الإنسان والعقيدة والموضوع الأدبى والصياغة الفنية والجنس الأدبى والأسلوب.

٣. هناک ارتباط وثيق بين الأسلوب والأسلوبية. فهما متلازمان عادة غير أنّ هناک فوارق بينهما تتجلى فى كون الأخيرة علما، وليس ذلک ينطبق على الأســلوب. كما أنّ هناک فوارق أخرى وردت الإشارة إليها فى ثنايا البحث.

٤. إن أهم عنصر من عناصر الأســلوب الأدبى من منظور القرآن الكريم هو الفطرة والإيمان والتوحيد ويمكن اعتبار الفطرة المســتودع الذى يضم مختلف القوى والقدرات التى أودعها الله منها كما أن الإيمان بالله والتوحيد هو الطاقة الأساسية التى وضعها الله فى فطرة الإنسان.

٥. إن لنية الإنســان الدور الأكبر فى أســلوبه الأدبى. فالنية فى الإسلام هى ركن فى شــعائر وهى بهدف التوجه القلبى إلى الله ســبحانه مع توافر العــزم والرؤية الواضحة للهدف.

٦. العقــل هــو عنصر آخر من عناصر الأســلوب من منطلق القــرآن الكريم وثمرته التفكير والتأمل والتدبر.

٧. إن ما ذكر من عناصر الأســلوب إذا ائتلف مع عاطفة الأنسان وشعوره وعملت مع سائر القوى فى كيان الأنسان يحدث التوازن فى الأسلوب الأدبى خاصة عندما تجتمع العاطفة مع العقل.

٨. تتميــز الموهبة بكونها غير مكتســبة فهى هبة من الله لمن يشــاء من عباده وهى متعددة ومن أهمها الموهبة الفنية الأدبية وهى التى تميز الأسلوب من إنسان إلى آخر.

٩. إن ســيطرة الإنسان على ميوله ورغباته وتسخيرها فى سبيل الهدف الإلهى الذى

يسعى إليه الإنسان المؤمن تنعكس بشكل مباشر على أسلوب الأديب.

١٠. إن دور المسـؤولية أهم من بقية العناصر المذكورة. فإن الأديب المنتج حسب الرؤية القرآنية يقصد به الأديب الملتزم بالإسلام الذى يرى نفسه مسؤولاً أمام كل ما ينتجه ويبدعه، وبذلک نرى أهمية هذا العنصر فى الأسلوب الأدبى عند كل أديب ملتزم بالإسلام.

## المصادر والمراجع


القرآن الكريم.

ابن خلدون. (١٣٢٧ق). مقدمة ابن خلدون. لامک: طبعة مصر.

ابن منظور. (١٩٨٨م). لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

أحمدسليمان، فتح الله. (١٩٩١م). الأسلوبية مدخل نظرى ودراسة تطبيقية. لامک: الدارالفنية للنشر والتوزيع.

أنيس، إبراهيم؛ منتصر، عبدالحليم؛ الصوالحى، عطية؛ أحمد، محمدخلف الله. (١٣٦٧ش). المعجم الوسيط. الطبعة الثالثة. لامک: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

الجرجانى، عبد القاهر. (١٩٨١م). دلائل الإعجاز. بيروت: دار المعرفة.

جمعى از نويسندگان. (١٣٦٧ش). معارف اسلامى (١).چاپ پنجم. طهران: سازمان (سمت).

خليل، إبراهيم. (١٩٩٧م). الأسلوبية ونظرية النص. بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر.

خليل، إبراهيم. (٢٠٠٢م). فى النقد والنقد الألسنى. عمان: عاصمة للثقافة العربية.

الزبيدى، محمد مرتضي الحسينى. (١٩٦٧م). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الكريم الغرباوى. بيروت: دار الهدية للطباعة والنشر والتوزيع. الزرقانى، محمد عبد العظيم. (١٤٠٨ق). مناهل العرفان. بيروت: دار الفكر.

الزيات، أحمدحسن. لاتا، دفاع عن البلاغة.

الشايب،أحمد. (١٩٤٥م). الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب العربية. مصر: مكتبة النهضة المصرية.

الطوسى، أبو جعفر محمد ابن الحسن. التبيان فى تفسيرالقرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

عابدينى مطلق، كاظم. (١٣٨٧ش)، مجموعه ى كبير، نهج الفصاحة، نشر فراگفت، چاپ پنجم.

عياشى منذر، لاتا. مقالات فى الأسلوبية. سورية: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

فضل صلاح، (١٩٩٨م). علم الأسلوب، مبادئة وإجراءاته. ط١. القاهرة: دارالشروق.

الفيروزآبادى، مجد الدين محمدبن يعقوب. (١٤١٩ق). القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة،

ط٦.

الکلینی، محمد بن یعقوب.(١٣٦٥ش). أصول الکافی. تهران: دار الکتب الإسلامیة.

الموسوی،أبوالحسن محمد بن الحسین،(١٣٨٧ق) المعروف بالشریف الرضی. نهج البلاغة،ضبط نصّه وابتکر فهارسه العلمیة الدکتور صبحی الصالح. ط١. بیروت: دار الکتاب اللبنانی.

النحوی، عدنان علی رضا. (١٩٩٩م). الأسلوب والأسلوبیة بین العلمانیة والأدب الملتزم بالإسلام. ط١. لامک: دار النحوی للنشر والتوزیع.

النحوی، عدنان علی رضا. (١٩٩٤م). الأدب الإسلامی إنسانیته وعالمیته. ط١. دار النحوی للنشر والتوزیع.

النحوی، عدنان علی رضا. (١٩٩٣م). النیة فی الإسلام وبعدها الإسلامی. ط٣. لامک: دار النحوی للنشر والتوزیع.

المواقع الإلکترونیة

السنانی، بندر مبارک. مقال تحت عنوان «الأسلوبیة العربیة والبلاغة العربیة». الموقع

WWW.merbad.net/vb/showthread.php

صبری، مسلم. مقال تحت عنوان «هل الأسلوبیة مدرسة أو منهج نقدی». الموقع(www.26sep.net)